

الأسرة ودورها التربوي في بناء شخصية الأبناء

د. عسولات جويده
جامعة البليدة 02

ملخص

يعتبر موضوع الأسرة ودورها التربوي في تكوين شخصية الأبناء من أهم المواضيع التي حظيت باهتمام كبير من طرف علماء الاجتماع والنفوس، نظرا لكون الأسرة أهم مؤسسة عرفت مختلف المجتمعات عبر الأزمنة، فهي نواة المجتمع المسؤولة عن تكوينه وديمومته، بالإضافة إلى تزويده بالثروة البشرية، ولا سيما إذا كانت تفيد المجتمع وهذا لا يتأتى إلا بالتربية الناجعة التي تقع على عاتق الأسرة فتربية الأبناء تستدعي تظافر جهود وتوفير شروط داخل المحيط الأسري سواء المادي أو المعنوي بالإضافة إلى عوامل داخلية وخارجية تساهم بقدر كبير في نجاح أو فشل العملية التربوية التي تهدف في النهاية إلى تكوين شخصية الأبناء التي تعود عليهم بالنفع أولا والأسرة ثانيا والمجتمع برمته، إذا فتربية الأبناء تعتبر من أهم وأصعب الوظائف التي تقوم بها الأسرة ولا يوجد لها بديل بالرغم من التغيرات الحاصلة.

Résumé

Le thème de la famille et le rôle de l'éducation dans la formation de la personnalité des enfants est l'un des sujets qui suscitent beaucoup d'intérêt par les sociologues et les psychologues, du fait que la famille est la plus importante institution qui caractérise les différentes communautés à travers les temps. Elle est le noyau responsable de la composition et de la continuité de la société, ainsi que son fournisseur en potentiel humain, notamment si la communauté en tire profit et cela n'est possible qu'à travers une éducation efficace qui repose sur la famille. Ainsi l'éducation des enfants appelle à des efforts concertés et à fournir les conditions physiques et mentales nécessaires au sein de l'environnement familial, ainsi que des facteurs internes et externes qui contribuent d'une manière significative à la réussite ou à l'échec du processus éducatif qui vise finalement à la formation de la personnalité des enfants avec des avantages qui leur reviennent d'une part et d'autre part pour la famille et la société dans son ensemble. Ceci dit, l'éducation des enfants est l'une des tâches les plus importantes et les plus difficiles menée par la famille sans qu'il y ait de substitut en dépit des changements en cours.

مقدمة

تعتبر التربية من الدعائم الأساسية في تكوين المجتمعات والأمم فقد حظيت منذ القدم باهتمام كبير من طرف علماء النفس والاجتماع وغيرهم، وهذا بالرغم من اختلاف مدارسهم وتوجهاتهم ونظرياتهم فالتربية ما هي إلا نظام اجتماعي له أسسه ومناهجه وأهدافه يستمدتها من المجتمع ومن ثقافته لأن عمليات التنشئة الاجتماعية التي تتولاها التربية إنما تحقق عضوية الجيل الجديد في المجتمع عن طريق أهم مؤسسة اجتماعية عرفت المجتمعات البشرية منذ زمن طويل وهي الأسرة التي تعمل على تعليم اللغة والفكر والتقاليد والعادات والعرف والقيم والأدوار والمكانات، أي كل ما يتعلق بمكونات الثقافة المادية كانت أو المعنوية، وهذا من أجل تكوين وبناء شخصية الأبناء ليصبحوا أهم ثروة بشرية يزرخ بها المجتمع فهي تحافظ على بقائه وإستمراره وأنسب مقوله نذكرها للشيخ الإبراهيمي "الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق".

1 تحديد المفاهيم

1-1 مفهوم التربية

هي عملية التنشئة إجتماعية للفرد يكتسب من خلاله القيم والاتجاهات والعادات السائدة في مجتمعه إلى جانب المعلومات والمهارات والمعرفة (عبد الرحمان ابن خلدون، 1979، ص 11).

والتربية عملية إجتماعية هادفة ذات مراحل وأهداف يقوم بها وسطاء بصورة غير رسمية مثل الأسرة... أو بصورة رسمية وفق فلسفة وأهداف محددة وواضحة وأساليب ووسائل لتحقيق هذه الأهداف كالمدرسة...، وعملية التربية بتشكيلها للفرد إجتماعيا تكسبه نمطا من الشخصية يميزه عن غيره من الأفراد في مجتمعه ولكنها في نفس الوقت من خلال إكتساب الفرد المعايير الإجتماعية والأنماط السلوكية والقيم والاتجاهات المحددة ثقافيا تكسبه الكثير من الخصائص المشتركة مع أفراد مجتمعه تميزه كعضو ينتمي إلى مجتمع معين وهذا ما يطلق عليه الشخصية النمطية (سميرة أحمد السيد، 2004، ص 38).

2-1 مفهوم التنشئة الإجتماعية

التنشئة الإجتماعية كما وضحنا سابقا هي جزء فرعي من العملية التربوية أي التربية تشمل في طياتها مختلف عمليات التنشئة الإجتماعية وهذا لا ينعنا من التطرق إلى مفهومها من الجانب السيكولوجي والسوسولوجي.

3-1 المفهوم السيكولوجي للتنشئة الإجتماعية

فهي تعرف على أنها "عملية حصول الأفراد على العادات المرغوب فيها إجتماعيا ويمكنهم من العيش بوصفهم أفرادا في جماعة تعلم إلترام طرائق الجماعة (فاخر عاقل، 1971، ص 106).

4-1 المفهوم السوسولوجي للتنشئة الإجتماعية

أما غي روشيه Guy Rocher فيقول "هي السيرورة التي يكتسب الشخص الإنساني عن طريقها يستبطن طوال حياته العناصر الإجتماعية الثقافية السائدة في محيطه، ويدخلها في بناء شخصيته وذلك بتأثير من التجارب والعوامل الإجتماعية ذات الدلالة والمعنى ومن هذا يستطيع أن يتكيف مع البيئة الإجتماعية حيث ينبغي عليه أن يعيش (غي روشيه، 1983، ص 164).

5-1 مفهوم الشخصية

بالرغم من إختلاف التعاريف الخاصة بالشخصية من طرف علماء مختلف المدارس والتخصصات والاتجاهات، تبقى الشخصية كموضوع حضي بإهتمام كبير من طرف علماء النفس الإجتماع إذ تعتبر إحدى المقومات الأساسية في بناء السلوك وعليه سوف نتطرق إلى تعريفين من الجانب السيكولوجي والسوسولوجي.

1-5-1 التعريف السيكولوجي للشخصية

فقد جمع ألبورت مختلف التعريفات للشخصية وصنفها في اتجاهين أساسيين:

الاتجاه الأول: يقول أن الشخصية هي محصلة أنواع النشاط المختلفة الذي يقوم بها لفرد والتي يمكن عن طريق ملاحظتها ملاحظة فعلية خارجية أن يتعرف على الفرد أو بعبارة أخرى الناتج النهائي لمجموعة وأنماط عاداته التي تميزه عن غيره.

الإتجاه الثاني: الشخصية هي تنظيم يتضمن كل النواحي التقنية والعقلي والمزاجية والأخلاقية سواء كانت فطرية غريزية أو كانت مكتسبة عن طريق الخبرة كالإستعدادات والميول(السيد عبد العاطي السيد ومحمد احمد بيومين، 2005، ص 82-83).

2-5-1 التعريف السوسولوجي للشخصية

يعرف كل من أجبرت ونيمكوف الشخصية على أنها"التكامل النفسي والإجتماعي للسلوك عند الكائن الإنساني معبرا عنه في عادات وشعور وإتجاهات وآراء وهي أي الشخصية تشمل بذلك على القيم وكل نواحي السلوك ووجهاته، كما يبدو الجانب الإجتماعي بينها من حقيقة نموها في المواقف الإجتماعية والتعبير عنها في تصرفات وأفعال تبدو في التفاعل الإجتماعي مع الآخرين(السيد عبد العاطي السيد ومحمد احمد بيومين، 2005، ص 86-87).

6-1 مفهوم الأسرة

لقد تعددت تعريفات الأسرة بتعدد العلماء وإتجاهاتهم النظرية والفكرية لقد أثار مؤلف إدوارد وسترمالك E.westermark عن تاريخ الزواج الإنساني إهتماما كبيرا كمدخل لدراسة الأسرة، وبناء عليه فإن الأسرة هي الوحدة الإجتماعية الأولى التي تهدف إلى المحافظة على النوع الإنساني وتقوم على المقتضيات التي يرتضيها العقل الجمعي والقواعد التي تقررها المجتمعات المختلفة(محمد يسرى إبراهيم دعيس، 1997، ص 55).

ومن هذا التعريف يتضح لنا أن الأسرة أهم نظام إجتماعي يحافظ على إستمرار المجتمع من خلال المحافظة على النوع الإنساني فإنقرضه يؤدي إلى زوال المجتمع بالإضافة إلى كون الأسرة تخضع إلى قيم ومعايير المجتمع.

بينما يعرفها محمد بدوي بأنها "جماعة منظمة يرتبط أعضائها جميعا بصلات قانونية وخلقية إتجاه بعضهم بعض، وهذه الصلة القانونية التي تجعل من الأسرة نظام إجتماعي وترتب لكل فرد من أفرادها حقوقا وواجبات معينة تتحقق عن طريق الزواج، فالزواج هو الوسيلة الإجتماعية التي تكسب الأسرة طابعها الشرعي بل طابعها الإنساني(محمد بدوي، علم الإجتماع، 1990، ص370).

يشير محمد بدوي إلى أن تكوين الأسرة لا يتوقف على الغريزة وحدها بل هي نظام إجتماعي يقوم على قواعد خلقية وتشريعية إذ يوجد حقوق وواجبات يقررها المجتمع لأفرادها كما أن الزواج هو حجر الأساس والدعامة الكبرى التي يقوم عليها بناء الأسرة وهو رابطة مقدسة يكسبها طابعها الشرعي والإنساني.

أما سناء الخولي فإنها تعرف الأسرة بأنها جماعة إجتماعية أساسية ودائمة ونظام إجتماعي رئيسي وليست الأسرة أساس وجود المجتمع فحسب، بل هي مصدر الأخلاق والدعامة الأولى لضبط السلوك والإطار الذي يتلقى فيه الإنسان أولى دروس الحياة الإجتماعية(سناء الخولي، 1983، ص49).

فحسب تعريف سناء الخولي هناك نقاط تتفق مع التعريفات السابقة بل أضافت كون الأسرة أهم مؤسسة إجتماعية يتكون منها البناء الإجتماعي للمجتمع، فهي مثابة البيئة الأولى للإنسان تعمل على نمو شخصيته وإتجاهاته وأنماطه السلوكية، فالأسرة هي الصورة الحقيقية التي تعكس المجتمع في قيمه ومعاييرها فهذا التعريف أشار إلى الوظيفة المسندة للأسرة والمتمثلة في التنشئة الإجتماعية.

وما يمكن إستنتاجه من التعاريف هو أنها في مجملها كون الأسرة جماعة منظمة إجتماعيا تخضع للقيم والمعايير والقواعد الإجتماعية والإنجاب وتنشئة الأطفال من الأهداف الرئيسية لها.

7-1 المقاربة السوسولوجية

تعد المقاربة السوسولوجية نقطة حاسمة في تحرير وتأطير أي دراسة علمية كانت، ويقصد بالمقاربة السوسولوجية تلك النظرية أو النظريات التي يتبناها الباحث بغية معالجة موضوع ما. "والنظرية هي عبارة عن إطار فكري يفسر مجموعة من الفروض العلمية ويضعها في نسق علمي مرتبط" (طلعت همام، 1986، ص 80).

وحسب الموضوع قمنا بتبني النظريات التالية:

1-7-1 النظرية الوظيفية

لقد إستعار كثير من علماء الاجتماع التربوية مفهوم النظرية الوظيفية التي تبناها الرواد الأوائل من علماء الاجتماع، أمثال أوجست كونت وسبنسر وإميل دور كايم وراي كليف براون ومالينوفسكي وغيرهم لتوجيه أعمالهم البحثية في مجال التربية والتعليم. ولقد إستمدت النظرية الوظيفية جذورها الأساسية من فكرة المماثلة العضوية بين المجتمع والكائن الحي في بنائها وتكاملها الوظيفي، بمعنى أن أي وحدة إجتماعية تشبه في تركيبها الوظيفي والبنائي الكائن الحي من حيث وجود مجموعة من الأجزاء التي تشكل وحدة تركيبها، وتتصف هذه الأجزاء بالتمايز فيما بينها من ناحية وبالتكامل بينها من ناحية أخرى لتؤدي دورها ووظيفتها كوحدة إجتماعية تقوم بدور وظيفي معين في المجتمع.

وبناء على هذا الطرح يمكن النظر في طبيعة المؤسسات التربوية كأنساق إجتماعية كلية، تتكون من مجموعة وحدات متميزة ومتكاملة تعمل معا لتحقيق أهدافها التربوية في المجتمع، لضمان بقائه وإستقراره الإجتماعي..... هذا ويعتبر الإتجاه الوظيفي من أبرز الإتجاهات النظرية التي إستخدمت لتفسير علاقة النظام الوظيفي التربوي كنسق إجتماعي ببقية الأنساق الإجتماعية الأخرى من حيث الأداء الوظيفي والعمل على خلق التوازن والإشباع وضمان إستمرارية بقاء تفاعل النسق التربوي مع غيره من الأنساق الإجتماعية الأخرى (عبد الله بن عايض سالم التبيتي، 2002، ص 193-194).

ويؤكد تالكوت بارسونز على التكامل والتساند الوظيفي بين النسق التربوي والأنساق الإجتماعية الأخرى، فيرى أن التربية تزود المجتمع بالموارد البشرية المؤهلة إجتماعيا لممارسة أدوارها الإجتماعية على أساس التحصيل والقدرات المرتبطة بالأداء وتقترن عملية الإعداد هذه بتزويد المجتمع بإطار مشترك من المعايير الإجتماعية والقيم قائمة على الإتفاق العام الذي يسهل عملية التفاعل بين أفراد المجتمع وأدائهم لأدوارهم حسب التوقعات الإجتماعية المشتركة (سميرة أحمد السيد، ص 54).

نلاحظ من خلال النظرية الوظيفية أنها تؤكد على ظاهرة التكامل والتكافل بين أقسام النظام الإجتماعي وباعتبار التربية بمثابة نظام إجتماعي فهي ترسم لنفسها مبادئ ومناهج وطرق وأهداف متناسقة ومتكاملة وظيفيا تستمدتها من ثقافة المجتمع المحلي والكلية، وبالتالي فالتربية لها وظيفة تتمثل في التطبيع الإجتماعي والفكري والعلمي للأفراد وهذا من أجل تحديد أدوارهم ومكانتهم وإشباع حاجاتهم بغية تحقيق التكيف مع المجتمع المحلي والكلية، كما لا ننسى أهمية الأسرة ودورها في هذا المجال فهي الأخرى تشكل نظام إجتماعي يوجد بداخله علاقات وتفاعلات مختلفة ومتعددة بين أفرادها وبناءا على وظيفة كل عضو داخل هذا البناء الأسري ونوعية العلاقات وتكاملها وتساندها مع بعضها تؤدي الأسرة دورها التربوي الذي يظهر على شكل التنشئة الإجتماعية وغيرها وما تحمله من أساليب التي تهدف في نهاية الأمر إلى تكوين وبناء شخصية الأبناء، فالشخصية في حد ذاتها موضوع جد معقد تتفاعل عوامل عديدة سواء كانت معنوية أو مادية في بنائها وخاصة

تلك الموجودة داخل المحيط الأسري، لأن الأسرة كانت وستظل المسؤولة في وضع حجر الأساس لبناء الشخصية.

1-7-2 النظرية التفاعلية الرمزية

يرى أنصار هذه النظرية أن أفعال الأفراد وردود أفعالهم محكومة بالمعاني الموضوعية للمواقف الاجتماعية التي يجدون أنفسهم فيها، وهذه المعاني ليست معطيات خارجية تفرض على الفرد بقدرما هي معطيات داخلية تبنى بواسطة عملية التفاعلات المتداخلة والمعقدة التركيب بين ما تنقله المعطيات الثقافية التي يعيش فيها الأفراد وما لديهم من خبرات ذاتية. ولهذا يعيش الإنسان في عالم من الرموز تصبح فيه اللغة وتيرة الصوت ودرجته وطبيعة النظرة أو الإشارة بالعين أو اليد أو خلافه... بمثابة وسائط أو أدوات المعان الرمزية يتبادلها الناس في المواقف أثناء عملية التفاعل لفهم أوطانهم الاجتماعية وتحديد أبعاد عالمهم الاجتماعي الأكبر (عبد اله بن عايض سالم التبيتي، ص 109-110).

كما تصبح التفاعلات بين الأشخاص والآخرين مبنية على مجموعة من المعاني المرتبطة برؤية الأشخاص أنفسهم، ولهذا تتعدد أنماط التفاعلات الرمزية في الموقف الواحد تتعدد الأشخاص وبناء على هذا يكون كل فرد في المجتمع الإنساني جزئياً صورة أو خيالاً معيناً عن ذاته من خلال ما يكتسبه من الآخرين من معان تظهر له أن واقع عملية التفاعل في المواقف والأدوار التي يلعبها في المجتمع، ولهذا يرى أنصار نظرية التفاعل الرمزي أن أصحاب المناصب هم الذين يصنعون أدوارهم فالدور هنا لا يعطي بل يضع على الرغم مما يحمله الدور من توقعات لدى المجتمع والأفراد والآخرين (المسلم بسامة خالد، 1996، ص 42).

ومن هنا نستنتج أن النظرية التفاعلية الرمزية إنصب إهتمامها على المواقف الاجتماعية التي تعتبر المصدر الرئيسي لملاحظة وفهم سلوك الأفراد، وبالتالي الوصول إلى فهم الذات والشخصية وهذا بناء على عملية التفاعل المتبادلة التي تظهر في الأدوار التي يقوم بها الفرد في المجتمع، وفي هذا السياق يضيف أحد رواد نظرية التفاعل جورج هربرت ميد بقوله أنه يرى أن النفس...متطورة ولم تأت عن طريق الولادة بل تظهر من خلال الخبرة الاجتماعية والأنظمة والأنشطة الاجتماعية التي يمارسها الفرد داخل المجتمع والإشارات، عند ميد تعني بداية السلوك الاجتماعي تعمل على تحفيز مثل تحريك اليد والأصابع أو تقطيب الجبين أو التكشير عن الأسنان وما تشابهه وهي تتركب من الأنا الاجتماعية والذات الفردية فالأنا الاجتماعية عبارة عن مجموعة إتجاهات اجتماعية يستجيب لها الفرد وهذه الإتجاهات الفردية يدركها الفرد ويعرفها من خلال قابليته العقلية على معرفة وإستخدام الرموز الاجتماعية السائدة في المجتمع (معن عمر، الفكر الاجتماعي المعاصر، 1991، ص 195-196).

كما نضيف أيضاً أن هناك دراسات نفسية وإجتماعية قامت في مجال التربية والتعليم لمحاولة فهم وتشخيص طبيعة ما يحدث من عمليات التفاعل بين الطلاب في الصفوف الدراسية وتأثير ذلك في بناء شخصياتهم وتشكيل مفهوم الذات عن قدراتهم الأكاديمية، وهكذا إهتم أنصار هذا الإتجاه من علماء الاجتماع التربوية بدراسة آلية التفاعل الرمزي داخل الحجرات الدراسية على ضوء القواعد التي يحددها المدرس ويميز بها بين التلاميذ على ضوء عملية الفهم والقصد المميز للوعي والشعور لدى كل من الطالب والمعلم (أحمد حمدي 1995، ص 184).

1-8 الأسرة ودورها التربوي

عرفنا أن التربية هي العملية الإجتماعية التي يتم بمقتضاها تنمية الشخصية الإنسانية من جميع جوانبها العقلية والنفسية والإجتماعية والجسمية، وذلك وفقا لمعايير الجماعة السائدة وقيمها وإتجاهاتها والأدوار الإجتماعية المشكّلة فيها وفقا للغتها ومعانيها ورموزها، والتربية لا تقتصر على التعليم المدرسي وإنما تبدأ مع الطفل منذ بداية حياته بالميلاد وتنتهي بالوفاة وعلى ذلك فإن التربية لا تبدأ بالمدرسة وتنتهي بها وإنما تبدأ ببداية الحياة في الأسرة وتنتهي بنهايتها في المجتمع(محمود السيد سلطان، مقدمة في التربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص 90).

فالعلاقة بين الأسرة والنظم الإجتماعية الأخرى للمجتمع والتغيرات التي تحدث في النظم الإجتماعية ذات تأثير مباشر عليها، فالأسرة لكي تحقق أهدافها وتقوم بوظائفها تستجيب للتغيرات التي تحدث في النظم الإجتماعية الأخرى، وتعد أفرادها لمواجهة متطلبات المجتمع لممارسة أدوارهم الإجتماعية بنجاح كما تؤثر بدورها على النظم الإجتماعية الأخرى من حيث تأثيرها المباشر العميق والفعال على الأبناء الذين يمثلون المورد البشري لهذه النظم(سميرة أحمد السيد، ص73).

9-1 الأسرة وعملية التنشئة الإجتماعية

يمكن القول بأن العلاقة بين التطبيع الاجتماعي والتربية هي علاقة الجزء بالكل، بمعنى أن التربية أشمل وأعم من التطبيع الاجتماعي ويدعم عصمت مطاوع هذا المعنى بقوله "قد يعتقد البعض أن التربية هي التنشئة الإجتماعية وحسب ولكن التربية عملية أكثر وأشمل من ذلك بكثير فهي تتضمن أنواعا مختلفة من التنشئة بجانب التنشئة الإجتماعية فهناك التنشئة السياسية والدينية أو العقائدية والإقتصادية والإدارية والقانونية إلى غير ذلك من أنواع التنشئة، كما أن التربية تهتم بجميع جوانب الشخصية الإنسانية سواء الجانب العقلي أو الجسدي أو الإنفعالي إلى غير ذلك من جوانب شخصية الفرد وذلك في إطار متكامل ومتوازن، وعليه فإن مفهوم التطبيع الاجتماعي يقع تحت مظلة المفهوم الشامل للتربية وعلى ذلك يمكن تشبيه علاقة التطبيع الاجتماعي بالتربية بالعلاقة بين العضو(القلب مثلا والجسم الإنساني) فلا يمكن لأحدهما أن يحيا بدون الآخر ولا يمكن فصلهما عن بعض. كما أن بينهما علاقة تأثير وتأثر قوية(علي السيد الشخبي وآخرون، ص 141).

وقد أكد بارسونز أن عملية التنشئة الإجتماعية هي العملية التي يكتسب بها المرء في طفولته عناصر الشخصية الأساسية، وهذه العناصر هي التي تكون لب الشخصية الأساسية وهي المتغيرات النمطية التي تبدو في توقعات الأدوار وتوجيهات القيم التي تعمل إلى حد كبير على بناء الأدوار الأساسية والقيم السائدة في البناء الاجتماعي، كما تلعب هذه التوجيهات دورا أساسيا في تعريف توقعات الأدوار وبناء الشخصية(السيد عبد العاطي السيد ومحمد أحمد بيومي، ص 91).

إذا فالتنشئة الإجتماعية كما قلنا سابقا هي جزء لا يتجزأ من التربية فهي تهدف إلى توجيه وتحديد سلوك الأفراد بناء على مجموعة من العوامل التي عمل على بناء تكوين شخصية الأبناء وحول هذه المسألة يؤكد بيرث بقوله "أن أشعب العوامل وأكثرها خطرا وتدميرا على حياة الفرد هي العامل التي تدور حول حياة الأسرة في الطفولة(وظفة علي أسعد، 1993، ص 80).

إذ يمارس كل عامل من هذه العوامل دورا خاصا في التنشئة الإجتماعية يتكامل مع جملة التأثيرات التي تمارسها العوامل الأخرى لتحقيق الأسرة نوعا من التوازن والتكامل في التأثير على شخصية الطفل (وظفة علي أسعد، 1993، ص 80).

1- **الجانب الإنفعالي:** كالخوف والخجل والجرأة والإحجام والغضب والثقة بالنفس والإحساس بالأمن العاطفي والنزعة إلى الإستقلال أو التسلط الكراهية والعدوان والحب والحقد سرعة الإنفعال القلق الإستسلام الخضوع المبادرة.

2- **الجانب المعرفي:** المتمثل في مستوى ذكاء الطفل مستوى تحصيله المدرسي ومستوى خبراته ومعارفه عن الوسط وقدراته التحصيلية.

3- **الجانب الإجتماعي:** المتمثل في قدرة الطفل على تمثل المعايير السلوكية الخاصة بحياة الجماعة وعلى التكيف مع منظومة العلاقات الإجتماعية القائمة في وسط الجماعة حيث يتميز سلوك الفرد بالمرونة الإجتماعية والقدرة على إقامة علاقات إجتماعية متوازنة في إطار الجماعات التي يترتب عليه أن يعيش فيكفها وتتمثل هذه العوامل فيما يلي:

1- حجم الأسرة

يتأثر نمط التنشئة الاجتماعية بحجم الأسرة إيجابا أو سلبا وفقا لعدد أفرادها وخاصة في أساليب ممارستها... ويؤكد بيلز Bales على خاصية حجم الأسرة وعلاقتها بمتغيرات أخرى مثل الاتصال والقيادة والمشاركة وحل المشاكل (إقبال محمد بشير وآخرون، ص 74). ويتأثر حجم الأسرة إلى حد بعيد بالمستوى الثقافي للوالدين ودخلهما.... وقد أشار الاقتصادي ماريشال قائلا: "تهبط نسبة المواليد عادة بين الميسورين من الناس بينما تزداد هذه النسبة شيئا فشيئا كلما إنخفض مستوى المعيشة (عبد السيد البرنشاوي، ص 07) وبالمثل يتأثر حجم الأسرة تبعا لثقافتها مع تغيير نسبي بين الريف والمدينة (عبد السيد البرنشاوي، ص 103).

2- الوضع الإجتماعي والإقتصادي للأسرة

كما أن لحجم الأسرة دور في التأثير على الإتجاهات الوالدية نحو الأبناء وكذلك المركز الإجتماعي والإقتصادي للأسرة له نفس الدور فغالبا ما نرى عديدا من الإختلافات بين الأفراد من حيث سلوكياتهم أو تنفيذ القرارات والقوانين وهذا باختلاف المستوى الإجتماعي والإقتصادي الذي ينتمون إليه (رشاد صالح د منهوري، ص 65).

وإستنادا إلى ذلك فقد إهتم علماء النفس بدراسة أثر المستوى الإجتماعي على إتجاهات الوالدين نحو أبنائهم فقد حاول بوسارد Bossard إحصاء الإختلافات في إتجاه الوالدين بدءا من المستويات الدنيا مرورا بالمستويات الوسطى حتى العليا الحصول أبنائهم على مركز مرموق يرتفع به إسم العائلة وكذلك إسناد أعمال الأسرة ومسؤولياتها له، فتحاول الأسرة بمجرد وصول إبنها إلى النضج ما يحتاج إليه من تقدير ومكانة مما يساعد على إحساسه بالتححرر والإستقلال المبكر ولكن في بعض الأحيان لا تمكنه خبراته وقدراته من الوصول إلى هدف والديه ما يؤدي إلى فقد الثقة بينهما مما يؤدي إلى نشوب الصراع بينهما وبين إبنهما.

أما الأسر ذات المستوى الإجتماعي المتوسط فإن أسلوب معاملة أبنائهم يتميز بالمعاملة الحسنة للأبناء وبأسلوب الأمانة الخالية من الصرامة وتشجيع الأبناء على الإستقلال والإعتماد على النفس كما أنهم يعتمدون في عقابهم على التأنيب وإشعار الطفل بالذنب مما يؤدي في بعض الأحيان إلى ميل الطفل نحو العدوان أما فيما يتعلق بأباء المستوى الإجتماعي المنخفض فإن سلوكهم يمتاز بالتسلط والصرامة والميل إلى ممارسة العقاب البدني من حثهم وتشجيعهم كذلك فهم يطالبون الأطفال بالسلوك الناضج في سن مبكرة مما يفقد ثقة الطفل في نفسه ويشعره بأنه طفل منبوذ في المنزل وبالتالي يؤدي به إلى البحث عن الأصدقاء خارج المنزل كي يعوض ما فدقه في داخله (رشاد صالح د منهوري، ص 65).

أما العامل الإقتصادي فلا يقل أهمية في تأثيره على مستوى التنشئة الإجتماعية فالحياة السهلة الرغدة تقي بالحاجيات اللازمة لهم من مأكّل وملبس وإستمتاع بمنع الحياة المختلفة كذلك اللعب..... إلخ بينما تسبب الحياة القاسية الناتجة عن الفقر وعسر العيش في وجود الإحساس بالحرمان وما يترتب عليه من أنواع الحقد والكراهية والعزلة الإجتماعية(منير مرسى السرحان، 1973، ص 188).

ويرى جاك هالاك في هذا السياق أن الأسرة توظف بعضا من دخلها في عملية التربية والتعليم وذلك من شأنه أن يعطي للأطفال الذين ينحدرون من أسر غنية فرصا أفضل في متابعة تحصيلهم المدرسي والعلمي(سعد جلال، علم النفس الاجتماعي، 1984، ص 82).

وعلى خلاف ذلك فإن الأسرة الفقيرة تدفع أبنائها إلى سوق العمل في مراحل مبكرة من حياتهم ودراساتهم كما يرى المفكر الأمريكي إيليتش أن اللامساواة المدرسة تتبع من اللامساواة الإقتصادية للأسرة بشكل مباشر ويعتبر بودون Bouden أن العامل الإقتصادي للأسرة يلعب دورا محددًا على مستوى نجاح أبنائها(زهير مناصفي، 1985، ص 125).

وبناء على هذا نلاحظ أن للوضع الإجتماعي والإقتصادي تأثير فعال في تنشئة الأطفال وتربيتهم فالأطفال الذين ينتمون إلى الأسر ذات المستوى الإجتماعي والإقتصادي المرتفع يتمتعون برعاية إهتمام كبير سواء كان من الجانب الجسمي أو العقلي أو الانفعالي فهذا يفسر على مدى توفير الإمكانيات والشروط اللازمة لحياة أفضل التي تساعد على تكوين شخصية الفرد وتكيفه في المجال لدراسي والعملية وكإضافة إلى هذا نشير إلى دراسة جنكيز Jencks وآخرين بعنوان عدم المساواة والتي أظهرت نتائجها للملأ أن متغيرات المستوى الإقتصادي والخلفية الإجتماعية والثقافية والعرفية للأسرة تفسر معظم أشكال التباين في مستوى التحصيل التعليمي بين الطلاب داخل المدرسة وبين المدارس المختلفة وأن هذه النتائج تعكس في جوهرها السياسة التعليمية في الولايات المتحدة الأمريكية(عبد الله سالم التبيتي، ص 190-191).

3- المستوى التعليمي والثقافي للأسرة

لقد أكدت الدراسات التي أجريت حول علاقة أساليب التنشئة الأسرية والمستويات الثقافية التعليمية للأبوين، إذ تشير إلى أنه كلما ارتفع المستوى التعليمي للأبوين كلما كانت طريقة معاملة الأبناء ديمقراطية وعلى العكس من ذلك يميل الأبوان إلى إستخدام الشدة أو الإهمال كلما تدني مستواهم التعليمي(منصور عبد المجيد، 1987، ص 180).

ومن هنا نرى أنه يعود تأثير العامل الثقافي إلى جملة عوامل كمستوى التوجه العلمي للأبوين وأنماط اللغة المستخدمة ومستوى التشجيع الذي يقوم به الآباء نحو أطفالهم(وظفة علي أسعد، ص 85).

4- ترتيب الطفل في أسرته وجنسه

إن مجرد ترتيب الطفل بين إخوته كالأول والأخير يعتبر كعامل مهم ومؤثر في عملية التنشئة وأدler أحد علماء التحليل النفسي أول من إهتم بذلك حيث إعتبر أن لكل طفل سيكولوجية خاصة داخل الأسرة تتكون في السنوات الأولى من عمره بفعل التربية تحدد سلوكه الخاص في الحياة وأن هذا الأسلوب يبقى لا تغيير ويحدد توقعاته مع الآخرين فيما بعد ونشير إلى أن الأبحاث بينت أن الطفل الأول يمنحه الوالدان موقع الإمتياز لأنه أكبر إخوته فعادة يتلقى إهتمام أكبر منها ويمارس عليه ضغط أكبر من أجل الإنجاز.... وقدم الطفل الثاني بشكل تهديدا للعلاقة بين الطفل الأول والوالدين مما يجعل الطفل يقارن بين وضعه الأول ووضعه

الثاني... بالمقابل الطفل الثاني ينظر لذاته على أنه أقل كفاءة بناءً على تقدير الأسرة الملموس للطفل الأول الذي هو أكبر سناً وبالتالي أكثر معرفة وخبرة. إن موقع الطفل داخل الأسرة لا يتضمن فقط كونه الأول أو الأوسط أو الأخير أو الوحيد بل يتضمن أيضاً جنسه ذكراً أو أنثى (فاطمة منتصر الكتاني، 2000، ص 58).

أما عبد الرحمان محمد العيسوي يضيف إن مركز الطفل في الأسرة أو ترتيبه يؤثر في حالة النفسية والعقلية والجسمية فالطفل الوحيد يحرم من ظروف المشاركة وفرص الزمالة واللعب المشترك ويتعرض لتدليل الآباء ولهفتهم، والطفل الأخير يتأثر أيضاً بخبرة الأسرة الطويلة بالتربية وبنجاح الزهد في الأطفال ويعاني من متسلط إخوته وأخواته للكبار ويأتي في وقت يكون الوالدان قد تقدموا في السن (عبد الرحمان محمد العيسوي، 1999، ص 276).

5- العلاقة بين الوالدين

تعتبر من أهم العلاقات الأسرية فإذا كانت هذه العلاقة تتسم بالحب والتفاهم فهذا ينعكس آثاره على الإنسجام الأسري وعلى النمو السليم للطفل وإستقراره النفسي أما إذا كانت هذه العلاقة أساسها النفور ويسوء التفاهم فيتأثر بها تأثيراً سلبياً وسيئاً ينعكس في ضيقه التنفسي وقلقته وحركته العصبية وميوله العدوانية (منير مرسي السرحان، ص 186).

كما يضيف توما خوري أن السعادة الزوجية تؤدي إلى تماسك الأسرة وتخلق جواً يساعد على تكوين شخصية الطفل المتكاملة والمتزنة، ويؤدي إلى إشباع الطفل إلى الأمن النفسي وإلى توافقه الإجتماعي عكس التعاسة الزوجية التي تؤدي إلى تفكك الأسرة مما يخلق جواً يؤدي إلى نمو غير سليم ويؤدي إلى أنماط السلوك المضطرب لدى الطفل كالغيرة والأناية والخوف والشجار وعدم التوازن الإنفعالي (توماخوري، ص 140).

6- الإتجاهات الوالدية نحو الطفل

العلاقات والإتجاهات المشبعة بالحب والقبول والثقة تساعد على أن ينمو بحب غيره ويتقبل الآخرين ويثق فيهم، أما الإتجاهات السيئة والظروف غير المناسبة مثل الحماية الزائدة أو الإهمال والتسلط تؤثر تأثيراً سيئاً على النمو وعلى الصحة النفسية للطفل (توماخوري، ص 140).

كما ينشأ الطفل وله مشاكل نفسية وعن تأثير الأم يقول سبيتز Spitz إن الطفل بقدر ما يحس بوجود الأم التي تمدّه بالعطف يبتسم لكل الوجوه ويسعى للإحتكاك بهم ويصبح فاعلاً ويشعر برغبة في الحياة ولكن حين يحس بوجود الأم السيئة النابذة يفقد الطفل رغبته في الحياة (جليل وديع شكور).

كما أن الحرمان من الأمومة يؤدي إلى إنعكاسات سلبية على نمو الطفل وسلوكاته وفي هذا السياق يقول كمال الدسوقي إن حرمان الطفل من أمه يجعله بليداً نافرماً خاملاً ومهما أعطي من غذاء ينقص وزنه الجسمي وصحته البدنية وإنفعالات الإحباط أو الحرمان التي تعيق تفتح وتعرقل نموه (كمال دسوقي، 1974، ص 293).

كما أن مشاركة الأب في التنشئة بشكل فعال مهمة جداً لإستقرار نفسية الطفل بل إن الخلل في العلاقة بين الطفل وأبيه كما أثبتت بعض الدراسات قد تؤدي إلى نمو شخصية سلبية لا تشعر بجدوى المشاركة في الحياة السلبية نظراً لعدم جدوى المشاركة في الحياة الأسرية التي سيستبد فيها الأب وسيادة نظرة بائسة من أي تغيير وفاقدة الثقة على التأثير في مجريات الأمور العامة (حسام الدين عرفة، 2003، ص 1).

7- العلاقة بين الإخوة

إن كل طفل بحاجة إلى أطفال آخرين من اللحظة الأولى التي يندرج فيها على الأرض وهو بحاجة إلى الإختلاط بهم لكي ينمو نمو سليما(حامد عبد السلام زهران، 1977، ص 110).

إذا فوجود الإخوة في الوسط الذي يعيش فيه الطفل سوف يؤثر على مدى إكتسابه للخبرات والدروس التي تفيده في الحياة بالإضافة إلى تفاعله الديناميكي في المستقبل.

ويرى مصطفى فهمي أن أطفال الأسرة الواحدة يؤثر بعضهم في بعض تأثرا له ميزاته وخصائصه وهذا التأثير يختلف عما يحدثه الكبار فيهم فالطفل الذي يعيش بين عدد من الإخوة يجد منفذا لإشباع حاجاته وإبراز ميوله.

ذلك لأن العلاقات التي تسود الطفل أو المراهق بإخوته تعلمه إحترام حقوق الغير وتساعد على التكيف والأسس العامة للصحة النفسية(مصطفى فهمي، 1974، ص 116).

كما يضيف في هذه المسألة شفيق رضوان قائلا: "إن العلاقات المنسجمة بين الإخوة الخالية من تفضيل طفل على طفل تؤدي إلى النمو النفسي السوي والصحة النفسية أما إذا كان هناك تفضيل طفل آخر فهذا الأخير يحس بأنه غير مرغوب فيه في الأسرة ويكون إنطوائيا بحيث يقوم بأعمال غير سوية للإنتقام من والديه والصحة النفسية تتطلب أن يتسم مناخ الأسرة بما يلي(شفيق رضوان، 1996، ص 203):

- إشباع الحاجات النفسية خاصة بالأمن والجد.
- تعليم التفاعل الإجتماعي وإحترام حقوق الآخرين والتعاون والإيثار.
- تعلم التوافق الشخصي والإجتماعي.
- تكوين الإتجاهات السليمة بالتغذية والكلام والنوم.
- تكوين الأفكار السليمة.

10-1 الأسرة والتغير الإجتماعي

قبل أن نتطرق إلى التغيرات وإنعكاساتها على الأسرة ودورها التربوي علينا توضيح المقصود بالتغير. التغير ظاهرة موجودة في كل مستويات الوجود في المادة غير الحية وفي المادة الحية وأيضاً في الحياة الإجتماعية(أحمد الزغبي، 1979، ص 34).

تعتبر الأسرة كنسق فرعي من المجتمع الكلي فقد تأثرت بكل التغيرات الإجتماعية التي حددت بالمجتمع فقد شمل هذا التغير الأسرة من الجانب البنائي والوظيفي فقد تغيرت نظرتها للحياة وتطلعاتها وأساليبها في إتخاذ القرارات الأسرية ومواجهة تحديات العصر وبالتالي إنعكس ذلك على الدور التربوي فأصبحت الأسرة الزوجية هي النمط السائد في المجتمعات المعاصرة بالرغم من وجود النمط الممتد للأسرة في بعض المجتمعات وبالأخص في المناطق الريفية فصغر حجم الأسرة فصح المجال وأعطى فرصاً أكبر لمشاركة الأبناء في الأنشطة الثقافية والإجتماعية من طرف الأسرة والرعاية والإهتمام بمواهبهم والعمل على صقلها.

أما من الجانب الوظيفي فقد عرفت الأسرة تشكل وحدة وهيئات وأنظمة إجتماعية شاركت الأسرة في وظائفها بحيث أصبحت هذه الأخيرة تتناقص شيئاً فشيئاً فقد كانت الأسرة تشكل وحدة إقتصادية إجتماعية بالإضافة إلى وظيفة التنشئة الإجتماعية التي قوم بها الأسرة والتي تعمل على غرس القيم الدينية والثقافية والخلقية والتربوية في نفوس الأبناء فالتنشئة الإجتماعية لم تقتصر على دور الأم والأب بل يساهم كل فرد من

أفراد الأسرة بدوره في هذه العملية بهذا فقد كانت الأسرة تشكل وحدة متكاملة بنائيا ووظيفيا، وما ميز هذا التجانس بين أفرادها في المكانات الأدوار والوظائف.

وفي ضوء هذه التغيرات أصبح للتربية كنسق إجتماعي تقوم به عدة مؤسسات كدور العبادة ووسائل الإعلام المختلفة وغيرها كلها تعمل بالتعاون مع الأسرة في مواجهة التغيرات ومتطلبات التحديث وهذا لا يتطلب فقط إعداد الأفراد إجتماعيا وعلميا ومهنيا بل يشمل توعية الأفراد وتوجيههم وإرشادهم وتفهمهم لما يحدث من تغير وقابليتهم لتقبل لما هو جديد يتماشى وثقافة مجتمعهم ورفض كل ما يعارض ذلك.

خاتمة

من خلال ماتطرقنا إليه نستنتج أن الأسرة هي أول جماعة ينتمي لها الطفل، أين يعيش فيها ويشعر بالإنتماء إليها ويكتسب أول عضوية في الجماعة، فالبرغم من إختلاف الأسر من حيث النوع والعدد تبقى الوحدة التي يتلقى فيها الأبناء دروس الحياة الأولى، فالرسالة التربوية بما فيها التنشئة الإجتماعية تؤكد دورها الفعال كأهم نظام إجتماعي في المجتمع، فأهم مسؤولية تقع على عاتق الأسرة تتمثل في تربية الأبناء وتكوين شخصيتهم فهي تتفرد بالتعامل مع الطفل والتأثير عليه في المراحل الأولية من العمر وهذه المراحل لها تأثير كبير جدا في تشكيل شخصيتهم وقيمهم وتصوراتهم.

فالأ أسرة تمثل أهم محيط لإشباع الحاجات النفسية والإجتماعية للطفل فالنمو البيولوجي له يقابله النمو الإجتماعي والنفسي والتمثل في الحاجة إلى الحب والتقدير والإنتماء والهوية والمسؤولية وحاجات أخرى، وكل هذا يتوقف على حسب الوضعية التي تعيشها الأسرة سواء المادية أو المعنوية التي لها تأثير على سيرورة العملية التربوية وأدائها على أكمل وجه، فالطفل حسب الدين الإسلامي هو أمانة عند والديه بإعتبارهم المسؤولين على الحفاظ عليهم وتربيتهم تربية صالحة، فحسب ما جاء في إتفاقية حقوق الطفل نجد أن هذا الأخير حضي باهتمام كبير وعليه حق التمتع بجميع حقوقه وبإعتبار الأسرة الوحدة الأساسية للمجتمع والبيئة الطبيعية لنمو ورفاهية جميع أفرادها وبخاصة الأطفال ينبغي أن تولي الحماية والمساعدة وتوفير رعاية خاصة وتربية لإعدادهم مستقبلا للمجتمع.

فدور الأسرة في تكوين شخصية الأبناء هو نتيجة العديد من العوامل فالمجتمع له دور في ذلك فهو يؤثر على الأسرة بإعتبارها نسق فرعي منه، وبالتالي تؤثر هي الأخرى على أدائها لأدوارها إتجاه أفرادها وكما نعلم أن نجاح تربية الأبناء يتوقف على تكافل مختلف القوى منها الخارجية أو الداخلية للأسرة.

قائمة المراجع

- (1) عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد وافي، لجنة البيان العربي، القاهرة، ط2، 1979.
- (2) سميرة أحمد السيد، الأسس الإجتماعية للتربية، القاهرة، دار الفكر العربي، ط1، 2004.
- (3) فاخر عاقل، معجم علم النفس، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1971.
- (4) غي روشيه، مدخل إلى علم الاجتماع العام (الفعل الإجتماعي) ترجمة مصطفى د نشدلي المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1983.
- (5) السيد عبد العاطي السيد ومحمد احمد بيومين أسس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، 2005.

- (6) محمد يسرى إبراهيم دعيس، التربية الأسرية وتنمية المجتمع، الإسكندرية، 1997.
- (7) محمد بدوي، علم الإجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط2، 1990.
- (8) سناء الخولي، الزواج والعلاقات الأسرية، دار النهضة، بيروت، ط2، 1983.
- (9) طلعت همام، قاموس العلوم النفسية والاجتماعية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1986.
- (10) عبد الله بن عايض سالم التبيتي، علم اجتماع التربية، المكتب الجامعي الحديث، القاهرة، ط1، 2002.
- (11) المسلم بسامة خالد، علم إجتماع التربية والتنمية ، الكويت، 1996.
- (12) معن عمر، الفكر الإجتماعي المعاصر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1991.
- (13) أحمد حمدي علي، مقدمة في علم إجتماع التربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995.
- (14) محمود السيد سلطان، مقدمة في التربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.
- (15) وطفة علي أسعد، علم الإجتماع التربوي، منشورات، جامعة دمشق 1993.
- (16) إقبال محمد بشير وآخرون، ديناميكية العلاقات الأسرية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.
- (17) عبد السيد البرنشاوي، تنظيم الأسرة اقتصاديا، اجتماعيا، دينيا، وطرق تنظيم النسل، دار الفكر العربي، مصر.
- (18) رشاد صالح د منهوري، التنشئة الاجتماعية والتأخر الدراسي، المملكة العربية السعودية، جامعة الملك عبد العزيز.
- (19) منير مرسي السرحان، إجتماعيات التربية، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط1، 1973.
- (20) سعد جلال، علم النفس الاجتماعي، الإتجاهات التطبيقية المعاصرة، الإسكندرية، 1984.
- (21) زهير مناصفي، سحر الشاشة الصغيرة وطغيانها الخفي، الفكر العربي المعاصر، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 35 حزيران، 1985.
- (22) منصور عبد المجيد احمدن دور الأسرة كأداة للضبط الإجتماعي والمجتمع العربي، دار النشر العربي، المملكة العربية السعودية، 1987.
- (23) فاطمة منتصر الكتاني، الإتجاهات الوالدية في التنشئة الإجتماعية، الأردن، ط1، 2000.
- (24) عبد الرحمان محمد العيسوي، علم النفس والتربية والإجتماع، دار الراتب الجامعية، لبنان، ط1، 1999.
- (25) توماخوري، علم النفس التربوي والنمو الإجتماعي عند الطفل والمراهق، لمؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت.
- (26) جليل وديع شكور، تأثير الأهل في مستقبل أبنائهم على صعيد التوجيه المهني، دراسة ميدانية، مؤسسة المعارف.
- (27) كمال دسوقي، علم النفس ودراسة التوافق، دار النهضة العربية، بيروت، 1974.
- (28) حسام الدين عرفة، حضور الأب والتحصيل، مجلة حواء وآدم، 2003.
- (29) حامد عبد السلام زهران، علم النفس الاجتماعي، دار المعرفة، القاهرة.
- (30) مصطفى فهمي، سيكولوجية الطفولة والمراهقة، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1974.
- (31) شفيق رضوان، علم النفس لاجتماعي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت ط1، 1996.
- (32) أحمد الزغبى، التغير الاجتماعي بين علم الاجتماع البورجوازي وعلم الاجتماع الاشتراكي، للنشر، بيروت، ط2، 1979.